



نوبل للسلام لصانع السلام في إثيوبيا تتويج لرئيس الوزراء أبي أحمد ولمن آمن بمسيرته الإصلاحية ودعمه



محمد أبو الفضل
كاتب مصري

كل من تابع مسيرة أبي أحمد، رئيس وزراء إثيوبيا، الذي لم يتجاوز العام ونصف العام منذ تقلده منصبه، توقع له أن يحتل مكانة عالمية مرموقة. وجاء إعلان حصوله على جائزة نوبل للسلام الجمعة، ليعزز هذه المكانة، حيث اضحى السلام من العلامات البارزة في تحركاته الداخلية والخارجية. وحقق على الصعيدين تقدما نوعيا خلال فترة قصيرة، بما فتح أمامه الكثير من الأبواب المغلقة ليكون رجل أفريقيا القوي الفترة المقبلة.

يمتلك رئيس وزراء إثيوبيا الشاب (43 عاما) كاريزما شخصية مدعومة بكثير من المؤهلات التي جعلت عملية صعوده لهذا المقعد مقبولة من جهات كثيرة، لكن بالطبع لا تخلو من تحديات جسيمة. ففي دولة تتشكل من موزايك اجتماعي وعرقية مختلفة تاريخيا لن يكون سهلا على أي حاكم صهر جميع المكونات المتنافرة في بوتقة وطنية واحدة، ما جعله يخلع مبكرا عباءة قوميته الأوروبية، ويتعامل مع الناس بصفته مواطنا لديه مشروع لإنقاذ البلاد من التناحرات التي نخرت جسدها، وحالت دون الاستفادة من إمكانياتها وطموحاتها الاقتصادية.

تفكيك الألفام

اشغل أبي أحمد بتفكيك عقدة السلام على المستوى الداخلي، والدخول في تسويات سياسية على الصعيد الخارجي. ولعبت في الثانية دولة الإمارات العربية المتحدة دورا بارزا لتعميمه وربطه بالتنمية الغائبة عن منطقة انتهت الحروب بالوكالة والنزاعات الداخلية. ويبدو تماما أن هذه العوامل الرئيسية لفهم شخصية أبي أحمد، والتي منحتها مكانة رفيعة وسط الإثيوبيين وخيراتهم، لأنه لمس الوتر-المفتاح الذي يفك شفرة الممارك التي دخلتها إثيوبيا بسبب منطقتي أو دون سبب أضلا، وعزم على ضرورة إحلال السلام، بما

جذب إليه أنظار جهات كثيرة. واتبع الرجل خطة متوازنة تساوي بين السلام في الداخل والمحيط الإقليمي الحافل بصراعات متشابكة، لأن كلاهما مرتبط بالآخر. ومن الصعوبة أن يتحقق الأول بعيدا عن الثاني، والعكس. وفي بيئة مليئة بالحروب الممتدة والعبارة للحدود تستلزم عملية الإطفاء أن يحمل أصحابها رؤية واضحة ومحددة.

أبي أحمد والداعمون له، كانوا على ثقة أنه "الرجل الضرورة" في هذه المرحلة التي بدأت تتشكل فيها البلاد من كثرة التوترات الداخلية وتتصاعد فيها النزاعات في الدول المجاورة، وتنتشر فيها المجاعات التي أوشكت أن تهدد التماسك الهش للدولة وتؤدي على فرص استعادة لحمتها، فلم تنجح معها جميع المسكنات السياسية التي اتبعتها حكومة ملس زيناوي ومن بعده هيلي ماريام ديسالين. وعندما انزلت إثيوبيا إلى ما يشبه الفوضى في فبراير 2018، أعلن رئيس الوزراء هيلي ماريام ديسالين استقالته بشكل مفاجئ. ولم يكن أحد يعلم عن أبي أحمد الرجل الذي سيخلفه في رئاسة الحكومة بعد نحو شهرين. غير أن الصفات التي يحملها مهدت الطريق أمامه، وسهلت عملية تقبله من غالبية القوى السياسية والعرقية. حتى المختلفون معه والرافضون له لم يتمكنوا من هز الأرض من تحت أقدامه، فقد تمكن من جذب قطاع عريض من الشباب، كان يحلم بطوق للنجاح.

ينتمي أبي لقبيلة الأورومو التي تشكل ثلث سكان إثيوبيا البالغ عددهم مئة مليون نسمة، وتنتمي دوما من التهميش الاقتصادي والثقافي والسياسي، لحساب هيمنة قبيلة التيغراي. وهو يحمل شهادة ماجستير في القيادة التحولية والتغيير، ودكتوراه في دور الوساطة في النزاعات. وربما تكون هذه التخصصات واحدة من أسرار اهتمامه بالتنمية والسلام والرغبة في حل النزاعات في المنطقة.

كان أبي أحمد ضمن قوات الأمم المتحدة لحفظ السلام العاملة في رواندا، ثم ترأس وكالة الأمن الإلكتروني الإثيوبية، وعمل وزير للعلوم والتكنولوجيا لفترة

محدودة، قبل أن يصبح نائب رئيس منطقة أوروميا التي ينحدر منها، وانخرط بقوة في عالم السياسة منذ ثماني سنوات من خلال تحالف الجبهة الثورية الديمقراطية الشعبية الإثيوبية التي قبضت على الحكم منذ بداية التسعينات في القرن الماضي. وتساعد الهويات المختلفة لرئيس وزراء إثيوبيا في فهم حرصه على تعزيز العلاقات بين المجموعات العرقية المتنوعة، فابوه مسلم والدته مسيحية، ويجيد لغة الأورومو والأمهرة والتغرينية، وهي القوميات الرئيسية في البلاد، فضلا عن الإنكليزية. ووفرت له هذه الخصال فرصة جيدة للانفتاح على الداخل والخارج، عززها بحملة من الممارسات الإيجابية التي غابت كثيرا عن البلاد، وأبرزها الربط بين التعاون في مجالات التنمية والسلام. وحلمت الشعوب الإثيوبية طويلا بالحصول على زعامة تستطيع تخفيف حدة الخلافات العرقية التي منعت توظيف المكونات الهائلة، ووضعت إثيوبيا في خندق قاتم، بعد أن كانت هناك مؤشرات كثيرة تتفاعل بقدراها على أن تحتل مكانة واعدة في أفريقيا، والرهان عليها كجزء ضوء تثير الفضاء لكثير من الاقتصاديات الأفريقية الخاملة.

ويعد توليه بفترة قصيرة، أطلق سراح الآلاف من السجناء السياسيين، وفرض الرقابة على وسائل الإعلام، ورفع حالة الطوارئ أولا، وفتح قطاعات اقتصادية رئيسية أمام المستثمرين. وبدأ معدل النمو يستعيد عافيته، حيث شهد تراجعاً خلال السنوات العشر الماضية. وعززت هذه الخطوات الثقة فيه من جانب دوائر عربية وغربية متباينة، وأخذت تلقت إلى أن هناك ركيزة يمكن الرهان عليها لتوفير الأمن والاستقرار الغائبين في منطقة القرن الأفريقي، وتمثل إثيوبيا رأس الحربة فيهما، فإذا نجحت في جلب السلام وربطه بتنمية شعوبها سوف يصبح المجال ممهدا لن حولها.

أدرك رئيس الحكومة الإثيوبية أن تفرقه في قيادة البلاد يبدأ من قدرته على إقناع المواطنين على تخفيف التفرقة القومية، ولذلك حرص على توجيه خطابه للشعب كافة،



أبي أحمد والداعمون له، كانوا على ثقة أنه «الرجل الضرورة» في هذه المرحلة التي بدأت تتآكل فيها البلاد من كثرة التوترات الداخلية وتتصاعد فيها النزاعات



بلا تفرقة بين انتماءات شخصية ووطنية. وفي أغسطس من العام الماضي خاطب حشدا شبابيا إثيوبيا في ولاية مينيسوتا الأميركية قائلا "إذا كنت تريد أن تكون فخرا لجيبك، فليكن أن تقرر أن أورومو وأمهر ووليتا وغوراغز وسيليت كلها إثيوبيا".

ونمت عوامل عديدة جعلته محورا رئيسيا في أحداث الإثيوبيين وغيرهم، بينها شخصيته القوية وطموحه العريض وتجاوبه مع تطورات المواطنين في البحث عن حياة أفضل والتكاتف والتلاحم حول مشروعات قومية تنهي أو تحد من حالة التفكك، لكن هناك ميزة ربما لم ينتبه إليها البعض، وتتعلق بتحويله إلى منقذ أو قديس جاء لنجدة إثيوبيا، ومدعوم من دوائر كثيرة في الداخل والخارج، بالتالي من الطبيعي أن يحقق تقدما في القضايا التي يقترن منها.

وقال الصحافي البريطاني توم غارنر، الذي يقيم في أديس أبابا، إن هناك حماسة "دينية" لما أطلق عليه اسم الهوس بابي أحمد، "الناس يتحدثون بصراحة عن رؤية ابن الله أو نبي"، وفقا لتعبيرهم. ربما تكون هذه مبالغة، غير أنها تكشف في جوهرها عمق التعلق بالرجل والتعويل عليه في قضية السلام الصعب وتفسير الأزمات مع الخارج دون المساس بالثوابت الوطنية.

السلام مع إريتريا

بدأت النبوءة تتحقق مع الخطوة الكبيرة التي قطعها مع إريتريا في الأشهر الأولى لحكمه،

الإمارات تساهم في تثبيت التجربة الإثيوبية عبر البوابة التنموية

وتمكنه من وقف الحرب معها، وإنهاء مرحلة طويلة من التوتر كلفت البلدين خسائر باهظة. ويمكن أن تكون نواة لانفتاح إقليمي تجني منه أديس أبابا مكاسب متعددة. وتم توقيع اتفاق السلام في جدة بالملكة العربية السعودية. وفتحت هذه الخطوة العميقة الأبواب المغلقة للتقارب مع كل من الصومال وجيبوتي والسودان، وتوطيد العلاقة مع جنوب السودان، وكلها قامت على قواعد تستمد قوتها المبتدئة من المشروعات التنموية المتكاملة التي دخلت على خطوطها دولة الإمارات العربية المتحدة، ونسجت شبكة من الروابط جعلت التنمية شرطا للسلام بدلا من الحرب وانتشار الإرهاب في المنطقة، الأمر الذي لقي تجاوبا من القيادة الإثيوبية، وحضها على مواصلة التحرك في محيطها من أجل ترسيخ السلام ودعم التنمية.

ولعب أبي أحمد دورا مهما في تسهيل عملية المفاوضات بين المجلس العسكري وقوى الحرية والتغيير في السودان، حتى وصل الطرفان إلى توقيع الإعلان السياسي والدستوري اللذين مهدا الطريق لتشكيل حكومة مدنية في الخرطوم. وعزز هذا التحرك مكانة رئيس وزراء إثيوبيا كصانع للسلام في منطقة تعج بالأزمات، بعد أن قطع شوطا لفت أنظار العالم إليه، وجعله يستحق جائزة نوبل للسلام.

كل هذه الجناح لا تعني أن الرجل دانت له الأمور تماما أو بلا منغصات، بل تضع على كاهله عبئا يستوجب الدفاع عن مشروعه للتنمية والسلام، لأن هناك من يتربصون به، وليس من المصادفات استمرار صعوده وتبدل المعاهدات والتوازنات الداخلية والإقليمية ببارحة.

فوز مستحق لأبي أحمد بجائزة نوبل

انخرط في المضمار السياسي قبل نحو ثماني سنوات، فانطلق بسرعة كبيرة، من بين صفوف فصائل "أورومو" من الجبهة الديمقراطية الثورية للشعب الإثيوبي. وهو ملمٌ بالثقافة المسيحية ويجيد ثلاث لغات محلية تساعده على التعاطي مع مكونات الشعب الإثيوبي، لتضييق ومعالجة الانقسامات الداخلية، وجد نفسه محاطا بتأييد الشعب الذي أراهقته الانقسامات العرقية والعرقية وعمليات التهميش وانعدام الثقة المكونات الشعبية بعضها ببعض. وكان هذا السياق بحد ذاته سببا في تقدير الغرب لسياسته. ولم تكن طريق الرجل سهلة ومعبدة، لكنه بالعزيمة استطاع أن يعبر بالبلاد إلى بر الأمان، وإخماد أعمال العنف التي اندلعت بعد إطلاقه مشروع السلام الداخلي والتحرر السياسي.

فقد منحه شعبية الثقة في قدرته على توحيد الخطط الملنية للمتطلب الشعبية، وتنفيذ سياسات مدروسة لمعالجة بعض هذه الكوارث التي يعاني منها الناس وتسببت في النزوح، وتخليق عوامل الاضطراب. وجاءت أهم إنجازاته وانتصاراته، عندما تجاوب مع المبادرة الإماراتية لصنع السلام في المنطقة، خلال توقيع اتفاقات السلام مع إريتريا، وإعطاء موافقة المتأخرة على اتفاقات سابقة ظلت معلقة تنتظر من ينفذها. فانتهت حرب اندلعت بسبب التعارضات في موضوع ترسيم الحدود. وانتهى حال التربص العسكري وطويت فكرة الحرب وكيفية التهيب لها، وكان ذلك العمل الموضحة التي لعت في ناظر محبي السلام ومن يتطلعون إليه ويمنحون جائزته الأكثر أهمية في العالم!

عن الصحافيين المسجونين فور تسلمه منصبه، وشملت الإصلاحات المحلية رفع الحظر عن الأحزاب السياسية، والإفراج عن الصحافيين المسجونين، وعزل المسؤولين الذين أمرؤا بالتعذيب في السجون. ولم يعد الإثيوبيون يخشون التعبير عن آرائهم علنا، وظهرت الرموز السياسية التي عانت من السجون ومارست نشاطها في مناخ حرية الإعلام. وفي السياق التنموي، كانت هناك مبادرات أخرى، كزراعة الملايين من الأشجار والترويج للصناعات الاستهلاكية التي تتطلبها السوق الأفريقية.



أبي أحمد صاحب كاريزما ومبادرات جريئة ما جعله يتبوأ مركز رئيس الحكومة الذي يتمتع بشعبية كبيرة

ويتحدث أبي أحمد على من غرب إثيوبيا، وكان ممن انضموا في سن المراهقة إلى المقاومة ضد نظام منغست وهابل امريمفي إذا استيق التجنيد في القوات المسلحة التابعة للنظام القمعي آنذاك. ولما انتظم في سلك الجندية، وصل إلى رتبة ملازم أول، لكنه واصل تعليمه حتى درجة الدكتوراه في دراسات السلام والأمن. وبعد فترة أمضاه في إدارة جهاز الاستخبارات السيرية (الإلكترونية) في إثيوبيا،

بأن إثيوبيا وإريتريا، كلاهما، دفعتا ثمنا غاليا للحرب من موارد بلديهما الشحيحة. وبالتالي رأى أن تلك الحرب هي التي أعاققت التنمية التي جرت الاضطراب إلى المنطقة بأسرها. من هنا، بدأ يلعب دورا قويا ورئيسيا لتصفير النزاع. وعندما تم طي مرحلة الحرب، علا شأن إثيوبيا نفسها ودورها الإقليمي، وكان أبي أحمد اللاعب الأجدد الذي يمكنه التوصل إلى صفقة سياسية في السودان المجاور، إذ ساعد على وقف احتمالات انزلاق السودان إلى الفوضى بعد سقوط الدكتاتور البشير، وساعد السودانييّن على إخراج العديد من المكاسب، وبدأت عملية بناء النظام الجديد في السودان، بعد التوافق على مرحلة انتقالية.

كان لافتا أن أبي صاحب مبادرات شخصية تنسم بالجرأة، كذلك صاحب كاريزما، وهذا الذي جعله يتبوأ مركز رئيس الحكومة الذي يتمتع بشعبية كبيرة، على الرغم من كونه مسلما في بلد مسيحي تقليدي. وكان في ذلك كله، أكثر ميلا إلى استباق عمل المؤسسات الحكومية وما يتوطن فيها من بيروقراطية. ويجانب كونه مسلما في مجتمع مسيحي وماترا بثقافته، فهو الزعيم السياسي الأول الذي ينتمي إلى أكبر مكون عرقي في البلاد، وهو "الأورومو" الذي اشتكى المنتسبون له، ولعقود طويلة، من التهميش الاقتصادي والثقافي والسياسي، وشملت إصلاحاته المحلية رفع الحظر عن الأحزاب السياسية، المعبرة عن طموحات جميع مكونات المجتمع. وسعى الرجل إلى تصفير المشكلات الداخلية العالقة فأفرج

إبرام اتفاقا مع إريتريا، بعد عشرين عاما من احتراب الجارتين؛ فالرجل، وهو على رأس الجهاز الحكومي في بلاده، جمع بين التوجهات الداخلية والخارجية التي من شأنها تكريس السلام على الصعيدين الاجتماعي الداخلي والسياسي الخارجي. أجرى إصلاحات في بلاده، أدت إلى تغيرات عميقة في السياسة الداخلية التي عُرفت بكونها من أسوأ السياسات في العالم وأكثرها غلاظة. أوقف تماما كل الانتهاكات التي كان يقرتها الحكام السابقون، واستعان بمنشقين سابقين، وأتاح لهم شغل مناصب حكومية عليا، وفتح مجال العمل العام للمرأة الإثيوبية، واستطاع أن يرسم باقتدار حدودا بين ماضي الحكم ومستقبله في بلده الأفريقي، وأن يذهب بخطى سريعة إلى التنمية!

وفي ردة فعله القوية على فوزه بالجائزة، لم يغادر تواضعه. فمن بين ما قاله عن فوزه "أشعر بالتواضع مع الاندهاش.. شكرًا جزيلًا. إنها جائزة تمنح لأفريقيا وتمنح لإثيوبيا، ويات في وسعي أن أخيل كيف سنتمتع هذه الجائزة لبقية قادة القارة، الذين سيحتفهم هذا الحدث على الاستمرار في العمل الإيجابي على بناء السلام!"

بدأ أبي أحمد على حياته العملية ضابطا عسكريا متخصصا في الاستخبارات الإلكترونية، وأوصلته الروب إلى الموقع الذي يفاجئ به عشرات الملايين من البشر في إثيوبيا وفي القارة، بإبرام اتفاق سلام مع إريتريا. فقد عين مسألة الحرب والتربص لها، ووصل إلى قناة

لأبي أحمد على شرف الفوز بنوبل، لتجاوز مناقبه، مناب آخرين بلغ عددهم 31 زُبحوا بقوة لنيل هذه الجائزة، من بينهم المستشار الألمانية أنجيلا ميركل وجاسيندا أوردن رئيسة وزراء نيوزيلندا، التي واجهت بقوة وشفافية وغضب عملية إطلاق النار الإرهابية المرعبة في مسجد تشيرستنتشيرش في بلاده، التي أودت بحياة 51 مصليا وجرح 49 آخرين. فقد تعددت مناقب أبي أحمد الحضارية في القارة السوداء، ولم تقتصر على



الملك سلمان استضاف توقيع اتفاق السلام بين إثيوبيا وإريتريا في جدة



عدلي صادق
كاتب وسياسي فلسطيني

كثيرة هي الأسباب التي رجحت ترشيح رئيس الوزراء الإثيوبي أبي أحمد على للفوز بجائزة نوبل للسلام التاسعة والتسعين. فقبل اختتام قائمة الجائزة والفائزين بها من أشخاص ومنظمات في جميع أنحاء العالم، كان